د . عز الدين اسماعيل

المشكلات التي تواجه المجلات الأدبية في مصر

حين نفكر في مشكلة المجلات الادبية في مصر ، ينبغي ان يتحرك تفكيرنا في نطاق اعم من البيئة المحلية ، فيتسع لرؤية المشكلة على النطاق الاوسع ، وهو النطاق العالمي . فليس من شك في ان ما يمكن ان نسميه ازمة المجلات الادبية انما ينسحب على المجلات الادبية في العالم بعامة ، وفي كل قطر من اقطار هذا العالم بخاصة .

وازمة المجلات الادبية في العالم ليست وليدة اليوم ، بل ترجع الى ما يقرب من نصف قرن . ولكن الملاحظ انها ازدادت حدة منذ قيام الحرب العالمية الثانية وفي اعقابها . ولسنا الان بصدد تحري المجلات ذات الطابع الفكري والادبي التي لفظت انفاسها الاخيرة في هذه الحقبة من الزمن ، فهذا امر في غير متناول ايدينا . ولكن هذه الحقيقة نفسها تلفتنا الى شيء من التأمل .

خليق بنا ان نتساءل : هل ما تزال فكرة المجلة ، اعني هذا الشكل الاعلامي المعروف للمجلة ، تمثل الصورة المناسبة لاداء وظيفتها في عصرنا الراهن ؟ ومن جهة اولى : هل ما يزال عصرنا الراهن في حاجة الى المجلة بصورتها القديمة المألوفة ؟

ويدفعنا الى هذا التساؤل ان اطر الحضارة الانسانية ووسائلها قد تطورت في خلال الثلاثمائة سنة الاخيرة ـ وهي عمر الصحافة العالمية بصفة عامة ـ تطورا كبيرا . لقد كان هذا التطور بطيئا في ايقاعه بشكل ملموس حتى العشرينيات من هذا القرن ، ثم اخذ يتزايد بشكل ملحوظ منذ ذلك الوقت حتى قيام الحرب العالمية الثانية . وبعد هذه الحرب طفر هذا المعدل طفورا مذهلا . وفي خلال هذا التطور حلت وسائل حضارية جديدة محل وسائل قديمة ، واستحدثت وسائل اخرى اكتظت بها حياة الناس ، وتغيرت نتيجة لذلك طرز التفكير، وتشكلت حساسيات الناس ومعنوياتهم بفعل هذا التطور على نحو مغاير لما كانت عليه في الماضي .

هذه الحقيقة ـ التي اعتقد اننا جميعا نسلم بصحتها ـ هي ما تجعلنا نربط بين ازمة المجلات الادبية والفكرية وبين التغير الحضاري المذهل الايقاع الذي اصاب العالم منذ الحرب العالمية الثانية ، حيث ازدادت حدة هذه الازمة .

وتفسير ذلك ـ في رايي ـ يرجع الى ان هذه الحرب المدمرة على نطاق واسع قد احبطت كل ما كانت تسعى « الكلمة » الى تأكيده من القيم الانسانية ، بعد ان ذاقت مرارة هذا الاحباط من قبل ـ وان كان على نطاق اضيق ـ بقيام الحرب العالمية الاولى . وكما تغيرت في حقل الادب والفن اشياء كثيرة بعد الحرب العالمية الاولى تغيرت اشياء اكثر بعد الحرب الثانية . فهل ما تزال المجلة ـ ونحن نعيد السؤال ـ بشكلها وطبيعتها ووظيفتها التقليدية اداة ملائمة لعصرنا الراهن ؟

ونحن نطرح هذا السؤال وفي ذهننا ان كثيرا من المجلات الادبية والفكرية قد نشأ بعد هذه الحرب ـ سواء في عالمنا العربي او في العالم اجمع ـ نشأة جديدة ، وان هذه المجلات قد التمست لنفسها مظهرا جديدا ، مستفيدة من بعض وسائل الحرفية (التكنيك) الحديثة. فعلى الرغم من هذا كله يظل السؤال مطروحا ، اذ ليس هناك من يدعي ان هذه المجلات على اختلافها لا تعاني ازمة وان تفاوتت في هذه المعاناة قلة وكثرة .

لقد قال الكاتب الفرنسي جورج ديهاميل في كتابه « دفاع عن الادب » ، وهو في صدد حديثه عن واقع المجلات الادبية في الاطار الحضاري الحديث : « لن يغيب عن بعض من يلاحظون العالم الحديث ان يستنتجوا ان العالم بلا ريب في سبيل التطور ، وانه لم يعد للمجلات الا ان تختفي . ولكني ما زلت اعتقد انه لو تم ذلك لكانت فيه كارثة ، فالمجلات تمثل نوعا من النشاط العقلي يلوح الى انه الزم ما يكون في هذا العصر المضطرب . فهناك من جهود الروح المستمرة النشاط ، والتفكير الدائم الخلق ، والدراسة النشطة ، ما لا يستطيع ان يظهر الا بفضل احدث المجلات الادبية ، فالكتاب ضخم بطيء ، والجريدة موجزة عابرة ، وهناك مجال لمعالجة الحوادث والرجال والكتب ونقدها ، يتطلب المجلة التي هي الرسول الطبيعي للروح اليقظ، وللفكر الذي لا يريد ان يتخلى عن رسالته . فاختفاء مجلة ادبية في الوقت الحاضر يعد كارثة على التفكير المهدد في نشاطه وفي وسائل اذاعته .»

ان خطر الكارثة اذن باختفاء المجلات الادبية ملحوظ منذ حقبة ليست بالقصيرة ، وان ما اصاب العالم من تطور هو المسئول عن هذه الكارثة اذا هي وقعت . وهذا صحيح بلا شك على المستوى العالمي .

ولكن على الرغم من هذا التطور وتوقع الكارثة ظل ديهاميل متعلقا باعتقاده في ان ما اصاب العالم من اضطراب يجعل الحاجة الى المجلة الادبية والفكرية امس . فالهموم الروحية ، والفكر المبدع المتجدد ، والمراجعات المتلاحقة ـ كل ذلك لا يجد مجالا افضل لاستيعابه من المجلة . وديهاميل بهذا يكون قد اجاب بالايجاب عن سؤالنا الذي نطرحه اليوم . ولا عبرة بفارق الزمن بيننا وبينه ، لان حجته في اهمية

المجلة وضرورتها قد اخذت في الاعتبار عامل التغير والتطور .

ونحن اذ نحس في ثنايا هذا الجواب بروح التفاؤل والنوايا الطيبة لا نريد ان نبدو متشائمين او سيئي النوايا فنقول « انه لم يعد للمجلات الا ان تختفي » ، ولكننا في الوقت نفسه لا نود ان نغلو في التفاؤل في وقت نرى فيه الازمة الاقتصادية العالمية تهدد لا المجلات الادبية والفكرية فحسب ، بل كبريات الصحف العالمية كذلك (نشرت صحيفة « النهار » البيروتية في عددها الصادر في ١٩٧٤/١١/٢٦ نقلا عن صحيفة « انترناشيونال هيرالد تريبيون » مقالا تقرر فيه ان ثمة ٧٤ صحيفة يومية في سويسرا اقفلت ابوابها في غضون خمس سنوات. اما الصحف البلجيكية فانها تتوقف عن الصدور بشكل مماثل . وفي المانيا الغربية بدأت الصحافة تشعر بتأثيرات التضخم والازمة الاقتصادية ، فصحيفة « دي فيلت » ـ وهي كبرى الصحف الالمانية ـ ربما تواجه عجزا يبلغ ٢٤ مليون مارك في هذه السنة . والصحف الايطالية كذلك تعاني من التضخم ، وينتظر ان تعاني صحفها عجزا جماعيا تتجاوز قيمته ١٣٠ مليار ليرة ، اي ٦ و١٧٩ مليون دولار ..).

دعونا اذن نسلم بان المجلة الادبية والفكرية ضرورة حيوية ، دون ان نغض اعيننا عن الاخطار التي تهددها من الداخل ومن الخارج .

وحين نقول انها ضرورة فليس معنى هذا ان نطمئن الى بقائها في هذا العالم المتغير بقوة ذاتية فيها ، فالحق اننا نريد لها ان تكون ضرورة ، حتى تبقى ، وحتى تقوى على تلبية مطالب الانسان الروحية المتجددة . ونحن من اجل هذا نفكر فيها ، ونحاول ان نتعرف على المناخ الملائم لبقائها ، والشروط الموضوعية لاستمرارها .

فمتى تصبح المجلة الادبية والفكرية جديرة بهذا الاسم ؟

نعود الى دبهاميل مرة اخرى فنجده يقول : « المجلة الحقيقية يجب ان تحمل اثرا لكل ما يحدث في العالم من امور هامة ، اذ من واجبها ان تعلق على الكتب ، وان تذكر الحوادث ، وان تحكم على اعمال الرجال وتظهر اخلاقهم . والمجلة التي تستحق هذا الاسم جديرة بان تقدم ـ علاوة على ما سبق ـ تآليف جديدة قادرة على ان تعكس الروح الخالدة في مغامرتها اليومية ، اذ يجب ان تكون عالما صغيرا ترتسم فيه عناصر العالم وتفصل تبعا لدرجة عظمتها واهميتها الحقيقية . »

وخلاصة هذا انها ترصد وتلاحق حركة الفكر الانساني في منجزاته، وفي شخوص اصحابه ، وتبرز الاحداث ذات المغزى بالنسبة لمنعطفاته، وانها ـ في الوقت نفسه ـ تستوعب مبدعات الطاقات الخلاقة الجديدة في مغامراتها الروحية المتجددة .

وبهذا المعنى تصبح المجلة الفكرية او الادبية سجلا حقيقيا لهموم الانسان الروحية ، وشاهدا على العصر ، بطريقة لا يمكن ان تبرز بنفس القدر في الكتب المؤلفة ، او في الصحافة اليومية .

هذه الحقيقة تضع ايدينا على العنصر الرئيسي الذي يمكن ان يهدد كيان المجلة ـ ومن ثم بقاءها ـ من داخلها ، واعني به مادتها وفلسفة تحريرها .

فالمجلة التي لا تستجيب في مادتها وفي فلسفة تحريرها للهموم والمطالب الروحية والفكرية الآنية ، او التي تخطىء فهم هذه الحاجات الملحة ، فتنحرف او تنجرف الى مشكلات وهمية او قضايا لم يعد لها في الواقع رصيد من هموم الناس ، والمجلة التي تنغلق دون ما يجري في العالم ، سواء للجهل به او لتجاهله او رفضه ، والمجلة التي لا تفتح صدرها للمغامرات والكشوف الجديدة ـ المجلة التي هذا شانها، تصبح مهددة من داخلها ، ويؤذن نجمها بالافول .

ولاضرب مثالا على هذا بأشهر مجلتين ادبيتين عربيتين شغلتا شطرا كبيرا من الربع الثاني من هذا القرن ، هما مجلة « الرسالة » ومجلة « الثقافة » . فالحقيقة انهما انتهتا بنهاية سنة ١٩٥٢ (وان كانت نهايتهما قد بدأت قبل ذلك ببضع سنوات) ، وكانت هذه النهاية في الحقيقة نتيجة طبيعية لتحلهما من الداخل ، حين صارت مادة تحريرهما ، والعقلية الموجهة لفلسفة هذا التحرير ، بعيدة عن ان تستجيب للمطالب الروحية والفكرية المتجددة . هذا هو السبب الحقيقي الذي انهى حياة المجلتين ، واي سبب آخر ـ ان صح ان هناك سببا اخر ـ انما هو ثانوي .

ولاسمح لنفسي ـ لتأكيد هذه الحقيقة ـ برواية هذه الواقعة . فقد كنت انشر في مجلة الثقافة منذ عام ١٩٤٨ ، وعاصرت مرحلة تدهورها سنة بعد سنة ، فتحمست قرب نهاية سنة ١٩٥٢ ، وتحمس معي بعض الزملاء ، منهم صلاح عبد الصبور وفاروق خورشيد وعبد الرحمن فهمي واحمد كمال زكي ، لتدارك المجلة قبل سقوطها النهائي، واقنعنا لجنة التأليف والترجمة والنشر ، وكان على رأسها المرحوم الدكتور احمد امين ، بان يتركوا لنا امر تحرير المجلة . وبقدر ما كانت ظروفنا المادية المحدودة آنذاك تسمح احدثنا تغييرا كبيرا في شكل المجلة وفي اسلوب اخراجها . ولكن الاهم من هذا ما ظهر في مادة تحريرها من نفس جديد ، جذب اليها قراء جددا فصارت توزع من النسخ ثلاثة اضعاف ما كانت توزع . ولكن واحدا من شيوخ لجنة التأليف اصيب بحمى حيقية على اثر قراءته احدى المقالات ، فركب رأسه ، ولم يجد سبيلا لتنحيتنا ـ وكنا في هذا العمل متطوعين ـ الا ان تغلق المجلة . وكان اغرب حدث في حياة هذه المجلة ، وربما في حياة اي مجلة اخرى، اننا اصدرنا العدد الاخير منها عددا « ممتازا » ، وهو في الوقت نفسه العدد الذي رثينا فيه المجلة واعلنا احتجابها بعده .

وانا اذكر هذه الواقعة ـ وهي ليست شخصية تماما ـ لكي اؤكد ان من اخطر ما تواجهه المجلة الفكرية والادبية عامل التدمير الذاتي الداخلي ، نتيجة لتخلف مادتها وفلسفة تحريرها ، انها تفقد عندئذ صفة « المجلة الحقيقية » كما حددها دبهاميل .

ولغياب هذه الحقيقة عن الاذهان ، وبعد انقطاع دام اكثر من عشر سنوات ، اعادت الادارة الثقافية في وزارة الثقافة في مصر ، او ما سمي بادارة المجلات الثقافية ، هاتين المجلتين الى الوجود، واعادت معهما المرحومين احمد حسن الزيات (صاحب الرسالة القديمة) ومحمد فريد ابو حديد ، (اخر من رأس تحرير مجلة الثقافة) . وقد كان طبيعيا ان تخفق هذه المحاولة ، اذ حسب القائمون عليها ان هذه العودة ستربط حاضر المجلتين بماضيهما المجيد . ومن هذا المنطلق صدرتا ، حتى ان الزيات جعل رقم العدد الاول من الرسالة (الجديدة) هو الرقم التالي لاخر عدد كان قد اصدره من رسالته القديمة . وبهذا اخفقت المجلتان ـ من حيث مادة تحريرهما وفلسفة هذا التحرير ـ في ان تلبيا مطالب المرحلة الجديدة ، على تفاوت يسير بينهما في مدى هذا الاخفاق ، واغلقتا .

وهكذا يتضح لنا ان الحقيقة العامة في شأن المجلة الفكرية والادبية يمكن ان تفسر لنا ـ جزئيا ـ الحقيقة الخاصة في شأن ما تواجهه المجلات الادبية في مصر من ازمة .

ونقول « جزئيا » لان ازمة هذه المجلات في مصر لا ترد كلية ونهائيا الى مسألة التحرير من حيث مادته وفلسفته فحسب ، بل لها اسباب اخرى خارج هذا النطاق ، سوف نعرض لها وشيكا .

ونكمل الان الصورة من خلال الواقع التاريخي القريب فنشير الى

قيام مجلة « الاداب » البيروتية في اعقاب اختفاء الرسالة والثقافة القديمتين ، فقد استطاعت هذه المجلة منذ اللحظة الاولى ، وبوعي متفتح ، وادراك لطبيعة التطور ، ان تستوعب كل الطاقات الفكرية والادبية الجديدة ، التي كانت في بداية الخمسينيات في الوطن العربي وفي مصر بخاصة ، تفتقد المنبر الحي الذي يستوعب مبدعاتها ومغامراتها الروحية . وكان ضمن هذه الطاقات المجموعة التي حررت الاعداد الاخيرة من مجلة الثقافة القديمة ، والاصوات الجديدة الطالعة في العراق آنذاك ، اصوات نازك الملائكة وبدر شاكر السياب وعبد الوهاب البياتي وكاظم جواد وغائب طعمة فرمان وعلي الحلي وغيرهم . وفي الوقت الذي استوعبت فيه « الاداب » هذه الطاقات حرصت على ان تكون النافذة التي يطل منها المثقف العربي ـ القارىء والمبدع جميعا ـ على ما يجري في العالم وما يتجاوب فيه من تيارات فكرية وادبية جديدة . وعلى هذا النحو حققت « الاداب » وجودها المعنوي ، وصارت ـ من حيث مادتها واسلوب تحريرها ـ مجلة بالمعنى الحقيقي .

ومن هذه الصورة المقارنة بين وجهي الحقيقة تتاكد الحقيقة نفسها، وهي ان نوعية المادة في المجلة وفلسفة تحريرها بعامة تحددان ما اذا كانت تسير في خط صاعد او خط هابط ، تحددان مدى فعاليتها في الحياة الثقافية ، ومدى قدرتها على الاستمرار في اداء رسالتها ، او مدى تعرضها للتحلل والتراجع والتخلف ثم الموت . وكما ان بعض الناس يموتون قبل الموت ، وبعضهم يموت حتى قبل ان يولد ، او يولد ميتا ـ كما يقال أحيانا ـ فكذلك الامر بالنسبة لبعض المجلات .

على ان هذه الحقيقة اذا كانت كافية لتفسير اختفاء بعض المجلات الادبية والثقافية في مصر فانها لا تكفي دائما لتفسير احتجاب عدد آخر من المجلات ، واعني بهذا المجلات التي لم تكن تواجه مشكلات من حيث نوعية المادة واسلوب التحرير الملائمين .

ونحن نقرأ في كتاب « اهداف العمل الثقافي » ، وهو الكتاب الذي اصدرته وزارة الثقافة في مصر عن دار الكاتب العربي للطباعة والنشر سنة ١٩٦٨ ، بصدد الحديث عن المجلات الثقافية التي صدرت عن الوزارة نفسها قبل هذا التاريخ : « ... كان منها ـ اي المجلات الثقافية ـ ما يصدر ويحتجب دون مستند واحد يؤرخ أسباب صدورها واسباب احتجابها ، بل دون سند يمكن ان يستنتج منه علة الاصدار والتوقف . » (ص ١٠٥)

ونحن نوافق على هذا الكلام في مجمله ، لان قيام مجلة جديدة يعد حدثا تاريخيا له اهميته ، ولان اختفاءها ـ كما قال ديهاميل ـ كارثة . وفي كلا الحالين لا بد من توافر السند الذي يحمل مبررات الانشاء واهدافه ، او اسباب الاغلاق ومبرراته .

ونحن ـ مع تسليمنا بوجاهة هذا الكلام في مجمله ـ نستطيع ان نستنتج المبررات الكافية لاغلاق مجلتي الرسالة والثقافة في مرحلة احيائهما المتكلفة . وقد فرغنا من هذا الاستنتاج منذ قليل . ولكننا لم نعرف حينذاك ـ وحتى اليوم ـ سببا او مبررا وجيها لاحتجاب مجلة « الشعر » او اغلاقها ، وهي المجلة التي انشأتها وزارة الثقافة في مصر ، في عهد الادارة العامة للمجلات الثقافية ، اي في الحقبة نفسها، وكان الدكتور عبد القادر القط يراس تحريرها . فقد لوحظ من الاقبال الشديد على هذه المجلة أنها سدت فراغا كان محسوسا ، ولبت حاجات ومطالب لدى المثقف العربي آنذاك في مجال الشعر وما يتصل به من دراسات . وقد كان من السهل على كل متابع لحركة هذه المجلة ان يدرك انها كانت في صعود ، وان رقم توزيعها (رغم سوء هذا التوزيع، وهو ما سنعرض له بعد قليل) الذي بلغ ثمانية آلاف نسخة يؤكد انها كانت ماضية في اداء رسالتها على النحو الملائم . ولكنها كذلك اغلقت مع بقية مجلات تلك الحقبة (باستثناء مجلة « المجلة » التي كان لها وضع اداري خاص نسبيا) دون سند يؤرخ سبب احتجابها ـ كما يقول كتاب الوزارة .

ويمضي كتاب الوزارة ـ مستدركا على ما حدث من قبل ، فيقول عن المجلات انه « اعيد تنظيمها ، وافردت لها ادارة كاملة ، بها قسم اخراج ، واخر للتحرير ، وثالث للاعلان ، وهكذا ، يتابع وينسق فيما بينها وبين النشاط الثقافي خارج الوزارة . ووضع الى جانب كل رئيس تحرير هيئة تحرير مسئولة معه . وجهاز اداري ييسر له العمل. كما وضع لكل من المجلات تخصص واضح حتى لا يضطرب القارىء بينها جميعا ، وصدرت المجلات على الوجه التالي :

١ ـ مجلة المجلة ، وتتخصص في النقد الادبي والفنون التشكيلية.

٢ ـ مجلة الفكر المعاصر ، وتفتح صفحاتها لكل ما يقدمه الفكر في مجال الفلسفة والسياسة والاقتصاد .

٣ ـ مجلة الكاتب ، وتقدم الفكر القومي العربي في مجالاته المختلفة .

٤ ـ مجلة الكتاب العربي ـ وقد تحولت الى سجل فصلي يصدر كل ثلاثة شهور ، ويقدم حصرا شاملا لنشاط الكتاب .

٥ ـ مجلة الفنون الشعبية ، وتصدر لتسد حاجة القارىء الى الابحاث الجادة في مجال الفن الشعبي .

٦ ـ ومنذ مطلع عام ١٩٦٨ ضمت الى مجلة المسرح مجلة السينما، وكانت تجربة تبشر بنجاح كبير في خدمة الفنيين . »

هذه اذن هي المجلات الادبية والثقافية التي كانت تصدر عن الوزارة في اواخر الستينات ، وهي موزعة ـ كما هو واضح ـ توزيعا جيدا على مجالات الاهتمام الثقافي المختلفة ، وان غاب منها الشعر والقصة .

اما مجلة المجلة ـ وكان يراس تحريرها الاستاذ يحيى حقي ـ فقد التزمت قالبا فكريا متزمتا ، وكانت تضم اشتاتا من المقالات في موضوعات مختلفة ، ولم تنجح في ان تكون ـ كما اريد لها ـ مجلة للنقد الادبي والفنون التشكيلية . اما الاصوات الشابة فكانت بمنأى عنها . وفي اواخر الستينيات ، وتحت الضغوط المستمرة لهذه الاصوات ، افرد لهم عدد صيفي ، نشر فيه بعضهم شيئا من نتاجه ، بخاصة في القصة القصيرة ، وكأنه عدد منبوذ. وقد ظلت كذلك حتى جاء وقت فقدت فيه ـ او كادت ـ مبرر وجودها ، فاسندت رئاسة تحريرها الى الدكتور عبدالقادر القط ، وشكل لها مجلس تحرير جديد . وعند ذلك تغير اسلوب تحريرها ، وتطورت من حيث الشكل والمادة تطورا ملحوظا . ولكنها لم تمض في طريق نهوضها اكثر من عشرة اشهر حتى اغلقت . على انها لم تغلق وحدها بل أغلقت معها سائر المجلات (باستثناء مجلة الكاتب فقد كانت لها ظروف خاصة) حتى مجلة الفنون (وكانت مجلة فصلية قيمة للغاية ، لم يصدر منها سوى ثلاثة اعداد فيما اذكر) قد اغلقت معها كذلك .

ونعود فنتذكر قولة ديهاميل ان اختفاء مجلة يعد كارثة فنتصور حجم الكارثة عندما اختفت هذه المجلات جميعا ، بخاصة انها اختفت في وقت كانت فيه الحياة الثقافية في امس الحاجة اليها ، وكانت كل واحدة منها تؤدي وظيفتها المنوطة بها في حقل الفكر والادب على نحو ملائم . والحق انها كانت سجلا حيا للحياة الثقافية والادبية في مصر في اواخر الستينيات ومستهل السبعينيات . وفي حدود ما اعلم يتصاعد ثمن مجموعات هذه المجلات ـ آن وجدت ـ يوما بعد يوم، وذلك

لما تمثله او تمثل فيها من قيمة حية باقية . وحين نتذكر هذا كله تتجسم امامنا فداحة الكارثة .

ونعود كذلك فنتذكر ما ورد في كتاب وزارة الثقافة في سنة ١٩٦٨ من ملاحظة ان بعض المجلات الثقافية كان يظهر ويحتجب دون مستند يؤرخ اسباب صدورها واحتجابها ، فنرى ان هذا النقد ـ الذي صدر عن الوزارة نفسها ـ كان قد تبخر ولم يؤبه به حين اغلقت تلك المجلات بعد ذلك بثلاث سنوات . ذلك ان رؤساء تحرير هذه المجلات لم يبلغوا الا بأمر اداري في سطر أو سطرين ، يدعوهم الى التوقف عن اصدارها .

وقد كان طبيعيا ان يثير هذا الاجراء في الاوساط الثقافية كثيرا من التساؤل المشوب بالسخط والامتعاض ، فكان الجواب اولا بان هذه المجلات اغلقت لا الى الابد ، بل لكي يعاد اصدارها او اصدار بدائل منها . ولتأكيد هذه النوايا نيط بصديقنا الشاعر صلاح عبد الصبور اصدار مجلة للشعر عن المؤسسة العامة للتأليف والنشر . وصدرت مجلة الشعر ، واستبشر الناس خيرا ، ونفدت نسخ العدد الاول منها في ساعات . وقد كان عددا مبشرا حقا ، ولكنه كان العدد الاول والاخير. وهكذا ما كادت هذه المجلة تظهر حتى اختفت . لقد ولدت في مهدها . اما لماذا صدرت ولماذا احتجبت فلم يقدم للناس اي مبرر او تفسير ، وظلوا في حيرتهم يتساءلون .

ثم كانت الاجابة ثانيا ان صدور تلك المجلات كان يشكل خسارة مادية تثقل كاهل ميزانية المؤسسة الثقافية التي تصدرها .

وهنا يمكننا الوقوف على مشكلة ربما كانت اخطر ما تواجهه المجلات الثقافية في العالم بعامة ، منوهين بأثرها على المجلات الثقافية في مصر بخاصة ، واعني بذلك مشكلة تمويل المجلة او وضعها المالي .

لقد كان من المألوف الى عهد قريب ان تدفع الحماسة فردا او جماعة الى اصدار مجلة ادبية ، وتحمل اعبائها المادية والمعنوية ، بكل ما يستتبعه هذا من تضحيات . ولكن ثبت ان تحمل هذا العبء لمدة طويلة غير ميسور . فمجلة « الجوائب » التي انشأها خليل مطران في مصر في اوائل هذا القرن لم تستمر ـ في حدود ما اذكر ـ اكثر من عامين . ومجلة « جاليري ٦٨ » التي أصدرتها جماعة من الشباب المتحمس في القاهرة بعد نكسة حزيران لم تتم عاما . اما مجلة «الأدب» التي اصدرها المرحوم الاستاذ امين الخولي في سنة ١٩٥٦ فقد استمرت عشر سنوات نتيجة عناد واصرار في الرجل كانا منقطعي النظير. ولهذا فقد عجزت جماعة الامناء عن ان تستمر بها حية بعد وفاته الا الى امد قصير وبتعثر شديد . ومع ذلك فمن بين هذه المجلات الثلاث التي ذكرناها كانت مجلة الادب هي الوحيدة التي تحصل على معونة مادية من وزارة الثقافة في مصر . لقد كانت حقا معونة هزيلة ، ولكن لولا عناد الرجل العنيد لاحتجبت بعد اشهر من صدورها . ولن اتحدث عن مجلة كمجلة « الاديب » البيروتية ، فليس لدي معلومات عن اوضاعها المالية ، ولا عن مجلة « الاداب » التي يصدرها صديقنا الدكتور سهيل ادريس ، وان كنت اعتقد انها ـ رغم استنادها الى دار نشر ناجحة ـ لم يخل الامر من معاناتها لبعض الازمات المالية . وبديهي انني لا املك اي معلومات عن اخر مغامرة من مغامرات الافراد في انشاء مجلات فكرية وادبية ، واعني بها مجلة الشرارة ، التي اصدرها مؤخرا صديقنا الاستاذ غالي شكري في بيروت .

واخلص من هذا الى ان التمويل يمثل مشكلة اساسية بالنسبة الى وقتنا الحاضر ، اعني ربحا خالصا من عائد بيعها دون استعانة بالاعلانات وقتنا الحاضر ، اعني ربحا خالصا من عائد بيعها دون استعانة بالاعلانات او الهبات وما اشبه ، بل الطبيعي ان تحقق خسارة مادية .

وليس بالضرورة ان تكون هذه الخسارة نتيجة لكسادها في السوق وعدم اقبال الناس عليها ، بل ان هذه الخسارة تقع نتيجة للعكس ، اي لانتشارها واقبال الناس عليها . وانا اعلم ان مجلة المسرح القاهرية كانت تتزايد الخسارة المادية فيها مع تزايد الاقبال عليها وزيادة الاعداد المطبوعة منها .

وهذا يعود بنا الى قضية الكسب والخسارة بالنسبة للمجلات الثمينة التي احتجبت في مطلع السبعينيات من ساحة الثقافة في القاهرة فنقول : اننا نسلم ـ ولا بد لنا من ان نسلم ـ بان هذه المجلات كانت نفقاتها تزيد قليلا او كثيرا عن العائد المادي منها . ولكننا نتوقف هنا عند امرين .

الامر الاول يتعلق بالنفقات . ولا شك في ان المجلات المصرية تشارك في معاناة كل المجلات بل الصحافة في العالم من ارتفاع اسعار الورق ونفقات الطباعة ، ذلك الارتفاع الذي انتهى بكثير من الصحف في اوروبا الى الاحتجاب ، والذي يهدد اكبر الصحف فيها واوسعها انتشارا بخسارة مالية فادحة .

اضف الى هذا ان مكافآت التحرير كان لا بد لها ان ترتفع في مقابل التضخم المالي العالمي ، اذا كانت المجلة حريصة على جودة المادة التي تريد ان تقدمها الى الناس .

وهذا وذاك من شأنه ان يرفع نسبة النفقات .

لكن هناك عنصرا اخر يزيد من حجم هذه النفقات في المجلات التي تصدرها وزارات الثقافة والاعلام ، ويتمثل في مرتبات الموظفين الاداريين والفنيين . وقد رأينا من قبل كتاب وزارة الثقافة في مصر ، الصادر في سنة ١٩٦٨ يحدثنا عن انشاء « ادارة كاملة » ذات اقسام مختلفة لتنسيق العمل بين مجلات الوزارة ، وعن انشاء جهاز اداري خاص بكل مجلة على حدة ، وعن هيئة للتحرير الى جانب رئيس التحرير . وكل هذا يترجم الى مرتبات ومكافآت مالية تحسب على المجلة .

الا يكون غريبا بعد كل هذا ان يقال في سبب ايقاف تلك المجلات انها لا تغطي نفقاتها ، بل ـ على العكس ـ تنتهي الى خسارة مادية محققة ؟!

اما الامر الثاني فيتعلق بمعنى الكسب والخسارة في هذا المجال .

ان المجلة حقا سلعة في السوق ، تباع وتشترى ، ولكن ليس من واجبها ـ بخاصة المجلة الفكرية والادبية ـ ان تحقق ربحا ماديا مباشرا، يمكن احصاؤه بالارقام . فالكسب الذي تحققه مثل هذه المجلة كسب معنوي ، وستعجز كل وسائل الاحصاء عن تقدير ما ينتج عن هذا الكسب المعنوي من مكاسب مادية . ومن ثم كان من واجب الدولة ان تدعم كل المؤسسات الثقافية فيها ، لا المجلات الفكرية والادبية فحسب . ولا يدري الا الله كم كسبت مصر من وراء مجلتي الثقافة والرسالة في الوطن العربي ، على الرغم من ضآلة المعونة التي كانتا تحصلان عليها من وزارة التربية والتعليم (وزارة المعارف آنذاك) في شكل اشتراك فيما لا يزيد عن ٦٠٠ نسخة من كل عدد . واذا كانت الدولة تتحمل في ميزانيتها كل عام مبالغ طائلة من اجل توفير رغيف الخبز لكل مواطن فما كان احراها ان تتحمل الخسارة الضئيلة التي تعود عليها من وراء تلك المجلات الثقافية .

وتبقى الان مشكلة اخيرة تواجهها المجلات الثقافية في مصر في اغلب الاحوال ، وهي مشكلة التوزيع . فالمؤكد انها تعاني كثيرا من سوء التوزيع داخليا وخارجيا ، بغض النظر عن موضوع الكسب والخسارة .

ان هذه المجلات يتركز توزيعها داخليا في مدينتي القاهرة والاسكندرية بصفة اساسية . ولست ادري لم غلب على تفكير شركات التوزيع ان هذه المجلات لا تطلب الا في هاتين العاصمتين والى حد ما في كبريات المدن ، كبور سعيد وطنطا والمنصورة والسويس . الغالب ان هذا التفكير لم ينتج عن دراسة موضوعية . ولو استرشدنا بالدراسة التفصيلية التي اجرتها الجامعة الامريكية في القاهرة بالتعاون مع « أراك » لتوزيع الجرائد والمجلات والكتب في جمهورية مصر العربية لادركنا كيف ان نسبة التوزيع في صعيد مصر وفي الوجه البحري اعلى في معدلها منها في الاسكندرية والقاهرة . ومع ذلك فلست أعتقد ان مجلة « الثقافة » القاهرية اليوم تصل الى كل قرية من قرى الصعيد والوجه البحري . بل اكثر من هذا لا اعتقد انها تصل الى كل حي من أحياء القاهرة والاسكندرية ، او تتوافر في مواطن التجمعات الثقافية والطلابية في المدينتين ، فضلا عن غيرهما من المدن .

اما بالنسبة للتوزيع في الخارج فمعاناة المجلات منه اشد ، لان شركة التوزيع عاجزة عن ان توصلها الى كل مكان يحتاج فيه اليها ، او تشق لها الطرق الى مواطن جديدة ، بل تكتفي باسلوبها التقليدي في التوزيع الخارجي ، وفقا لخطة درجت عليها منذ عشرات السنين .

واذكر ـ بهذه المناسبة ـ احدى المفارقات الغريبة التي توضح ما اريد . فقد علمت من الدكتور عبد القادر القط ان شركة التوزيع كانت ترسل من مجلة الشعر التي كان يرأس تحريرها الف نسخة الى العراق، ومثلها الى السودان ، ثم مائة واربعين نسخة لكل الاقطار العربية في شمال افريقيا . ولا أدري كم كان نصيب كل قطر من هذه الاقطار !

وكل هذا يؤكد لنا ان مشكلة التوزيع التي عانت وتعاني منها المجلات الثقافية في مصر تحتاج الى دراسة خاصة ، لاستنباط الحقائق الموضوعية التي تنير الطريق الى اسلوب علمي ناجح .

* * *

وبعد فقد حاولنا في هذه العجالة ان نلم بالصعوبات والمشكلات التي تواجه المجلات الثقافية بعامة وفي مصر بخاصة ، سواء منها تلك التي تهدد المجلة من داخلها او التي تمثل حجر عثرة في طريقها من الخارج . ولعل هذا يعيننا في الوقت الراهن وفي المستقبل على تجنب كثير من الاخطاء التي وقعنا فيها من قبل ، ويسدد خطانا .

عز الدين اسماعيل

(مجلة « الثقافة » المصرية)

محمود درويش محاولة رقم ٧

في مجموعته الجديدة

•

وينتشر البحرُ
بين السماء ومدخل جرحي
واذهب في أفق ينحني
فوقنا
ويصلي لنا
او يكسرنا
هذه الارض تشبهنا
حين ناتي اليها
وتشبهنا
حين نذهب عنها .

•

•

آه !
ما اصغر الارض
ما اكبر الجرح !
آه ،
ما اكبر الارض
ما اصغر الجرح !

صدر حديثا